www.quranonlinelibrary.com

العنوان:	التصنيف الموضوعي لسجود التلاوة: تأملات وتدبرات
المصدر:	مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
الناشر:	جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المؤلف الرئيسي:	آل إسماعيل، نبيل بن محمد بن إبراهيم
المجلد/العدد:	ع11, الإصدار1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الصفحات:	101 - 139
DOI:	10.21608/JFAZ.2021.210546
رقم MD:	1222691
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، التلاوات القرآنية، التفسيرات الموضوعية، الفقه الإسلامي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1222691

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.quranonlinelibrary.com

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

آل إسماعيل، نبيل بن محمد بن إبراهيم. (2021). التصنيف الموضوعي لسجود التلاوة: تأملات وتدبرات.مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، ع11, الإصدار1، 101 - 139. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1222691

إسلوب MLA

آل إسماعيل، نبيل بن محمد بن إبراهيم. "التصنيف الموضوعي لسجود التلاوة: تأملات وتدبرات."مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيقع11, الإصدار1 (2021): 101 - 139. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1222691

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

التصنيف الموضوعي لسجود التلاوة
تأملات وتدبرات

إعداد الدكتور

نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية

جامعة طيبة - المملكة العربية السعودية

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

التصنيف الموضوعي لسجود التلاوة تأملات وتدبرات

نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل
قسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة – المملكة العربية السعودية .
البريد الألكتروني : nabeel272@hotmail.com

الملخص :

تهدف الدراسة إلى تناول سجود التلاوة في القرآن العظيم في مواضعها الخمسة عشر، لا على ترتيب ورودها في المصحف الشريف، وإنما بحسب تصنيفها حسب الموضوع الذي تناولته تلك المواضع ، وقسمت الدراسة المواضع إلى قسمين رئيسين: الأول: الساجدون لله طواعية من الملائكة والرسل والأنبياء والصالحين من المكلفين من البشر وسائر المخلوقات التي تسجد لله تعالى ، الثاني: الرافضون للسجود لله تعالى وهم عصاة الثقلين والكفار منهما ، ولعل هذه الإضافة للمكتبة القرآنية أن تؤتي أكلها بإذن الله تعالى وبخاصة عند طلبة التعليم العالي ممن يرغبون في الكتابة والتأليف في مجال التفسير الموضوعي.

الكلمات المفتاحية : سجود التلاوة – تأملات – التفسير الموضوعي –القرآن الكريم .

The objective classification of the prostration of recitation, reflections and meditations

Nabil Mohammed Ibrahim Al Ismail

Department of Quranic Studies at Taibah University – Kingdom of Saudi Arabia.

Email: nabeel٢٧٢@hotmail.com

Summary:

The study deals with the prostration of recitation in the Great Qur'an in its fifteen placesNot on the order of its appearance in the Holy Quran,Rather, it is according to its classification according to the topic covered by those topics.The study divided the subjects into two main parts:The first: The angels, messengers, prophets and righteous people who worship God willinglyOf those assigned to humans and other creatures who prostrate to God AlmightyOf those assigned to humans and other creatures who prostrate to God Almighty Second: Those who refuse to prostrate to God Almighty And they disobey the two heavy and infidels from them.Perhaps this addition to the Quranic library will bear fruit, God Almighty willingEspecially among students of higher education who wish to write and compose in the field of objective interpretation.

Key words: prostration of recitation – meditations – objective interpretation – the Holy Quran

المقدمة

الحمد لله الولي الحميد، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، أحمده وأشكره وقد تأذن بالمزيد .

خلق الخلق وأمرهم بالركوع وبالسجود ووعدهم على ذلك بالفضل المديد، سبحانه وتعالى، وهو ليس بظلام للعبيد.

والصلاة والسلام على إمام الركع السجود محمد وآله وصحبه أولي الطاعة والانقياد والأمر الرشيد ،صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم المزيد.

أما بعد... فهذا بحث لطيف مفيد في دلالات موضع سجود التلاوة في القرآن المجيد، أردت به إفادة نفسي أولا، ثم لمن يعنى بالتفسير الموضوعي في الذكر الحكيم.

وهذه المقدمة تتضمن أسباب اختيار الموضوع وأهميته مع ذكر الدراسات السابقة إن وجدت

ومنهج البحث، ومباحثه والخاتمة وقائمة المراجع وفهرس للموضوعات.

أهمية البحث وأسباب اختياره

أهمية هذا البحث يدركها كل قارئ للقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتأملا وتدبرا، كيف لا وهو يمر بسجود التلاوة في خمسة عشر موضعا من القرآن الكريم، ولست هنا بصدد الحديث عن أحكام سجود التلاوة؛ فذلك موضعه كتب الفقه، وإنما غرضي هنا تصنيف تلك السجدات واكتشاف ما فيها من تدبر وحكم تعين قارئ القرآن على مزيد من التدبر والتفكر وراء تشريع السجود في تلك الآيات دون سواها. وهذا يفتح آفاقا واسعة لاستلهام العبر والدروس العملية منها.

الدراسات السابقة

هذا الموضوع بكر في بابه كما أسلفت ولم أطلع حسب ما بذلته من جهد في الحصول ما كتب حول ذلك، فلم أجد سوى ما يتعلق بعدد سجود التلاوة في القرآن الكريم، وأحكام سجود التلاوة وخلاف الفقهاء في تلك الأحكام، وكذلك في بعض كتب علوم القرآن وبعض مقدمات كتب التفسير، ولم أجد من تناولها من حيث التصنيف الموضوعي، وذلك ما أحاول إخراجه في هذه الدراسة مستعينا بالله تعالى.

منهج البحث

سأسلك المنهج الاستقرائي مع شيء من المنهج التحليلي في دراسة آيات سجود التلاوة مرتبة حسب الترتيب الموضوعي، وليس حسب ترتيب المصحف الشريف.

الفصل الأول: الساجدون لله طواعية. وفيه عدة مباحث.

الفصل الثاني: الرافضون للسجود وفيه مباحث.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

ثبت المراجع: ويذكر فيها أهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث.

فهرس الموضوعات: تتضمن رؤوس الموضوعات التي تناولها البحث.

الفصل الأول

الساجدون لله طواعية

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: فضل سجود التلاوة

المبحث الثاني: سجود الملائكة والملأ الأعلى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سجود الملائكة والملأ الأعلى لوحدهم.

المطلب الثاني: سجود الملأ الأعلى ومعهم غيرهم.

المبحث الثالث: سجود جميع المخلوقات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سجود المخلوقات بالجملة.

المطلب الثاني: ذكر بعض المخلوقات الساجدة.

المبحث الرابع: سجود الأنبياء والصالحين. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سجود الأنبياء بالجملة.

المطلب الثاني: سجود داود ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

المطلب الثالث: سجود العلماء من أهل الكتاب والمؤمنين من هذه الأمة.

المبحث الأول

فضل سجود التلاوة

لسجود التلاوة فضل عظيم ينبغي لتالي القرآن التوقف عنده والسجود بعد كل آية من آيات ﷺالذي كان يطبق ذلك كلما تلا آيات سجود التلاوة وطبق ذلك أمام أصحابه رضي الله عنهم فنقلوه لنا بالتواتر مع نقلهم المصحف، وعني العلماء بعدهم بضبطه في مواضعه التوقيفية التي فكان ذلك من تمام حفظ الله لكتابه الذي وعد به في قوله عز قائلا عليما: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾سورة الحجر: ٩ .

ومما ثبت عن النبي ﷺ في فضل سجود التلاوة ما رواه مسلم وغيره قال: " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِى يَقُولُ يَا وَيْلَهُ – وَفِى رِوَايَةِ أَبِى كُرَيْبٍ يَا وَيْلِى – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِىَ النَّارُ »"[1].

وفي هذا غنية وكفاية على أهمية سجود التلاوة لقارئ القرآن، إرضاء للرحمن وإرغاما للشيطان الذي رفض السجود حين أمر به، واقتداء بصفوة خلق الله من الساجدين من الملائكة والأنبياء والمرسلين والصالحين من مؤمني الثقلين.

(١) صحيح مسلم، المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي: حديث رقم(٢٥٤):٦١/١، سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: (باب سجود القرآن):٣٣٤/١.، وسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر: حديث رقم(٩٧١٠): ٤٤٣/٢.

المبحث الثاني

سجود الملائكة والملأ الأعلى

سيكون الحديث في هذا المبحث عن سجود أهل السماوات العلا من الملائكة المقربين كما ورد ذلك في آيات سجود التلاوة في القرآن العظيم، وما في ذلك من فوائد ودروس وعبر تفيد المؤمن في تطبيق ما يمر به من سجدات أثناء تلاوته.

وهذا المبحث يحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: سجود الملائكة والملأ الأعلى لوحدهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٦ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فصلت: ٣٧ – ٣٨.

في هاتين الآيتين يبين الله عز وجل حال الملائكة من تواضعهم وعدم استكبارهم وخضوعهم وسجودهم لله تعالى على ما يليق به عز وجل، كيف لا وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما وصفهم الله في كتابه في أيما آية، قال ابن عطية رحمه الله : "وقوله: (الذين) يريد الملائكة، وقوله: (عند) إنما يريد في المنزلة والتشريف والقرب في المكانة، لا في المكان؛ فهم بذلك عنده ،ثم وصف تعالى حالهم من تواضعهم وإدمانهم للعبادة والتسبيح والسجود

وفي الحديث: " أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد"[١] وهذا موضع سجدة" [٢] .

وعن الموضع الثاني يقول الإمام بن كثير – رحمه الله–: " يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أي: أنه خلق الليل والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياؤه وتقدير منازله في فلكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال: (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) أي: لا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره؛ فإنه لا يغفر أن يشرك به، ولهذا قال تعالى: (فإن استكبروا) أي: عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) [٣] .

فأنت أخي التالي لهذين الموضعين يحسن بك ويجمل أن تتدبر وتستفيد من سجود الملائكة لله تعالى؛ لتطبق ذلك في واقعك، ولعل من أهم ذلك:

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون :حديث رقم(٢٣١٢)، باب رقم(٩) ٥٥٦/٤. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي :حديث رقم(٢٣١٢) ..

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: ٤٩٥/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤٠١: ١٠٣/٤.

١- إثبات عظمة الله تعالى الذي خضعت له الملائكة الكرا وسجدت رغم عظم خلقهم.

٢- أن تتواضع لله تعالى كما تواضعت الملائكة.

٣- أن تحمد الله أن جعلك من صنف الساجدين المقتدين بالملائكة الكرام.

٤- أن يزداد إيمانك وخوفك من الله؛ لتصل لدرجة الساجدين الطائعين من الملائكة.

٥- أن تعلم استغناء الله بطاعة ملائكته عن طاعة عصاة بني آدم.

إلى غير ذلك من المواقف التدبرية في هذين الموضعين.

المطلب الثاني: سجود الملأ الأعلى ومعهم غيرهم.

قال تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة النحل: ٤٨ – ٥٠ .

في هذا الموضع من مواضع سجود التلاوة التي تمر بنا ونحن نتلوا آيات سورة النحل هذا الموضع الجليل الذي يتحدث عن خضوع الملائكة وأصناف أخرى من الساجدين لله تعالى طوعا أو كرها من سائر خلقه، وأن هذا التذلل والسجود والانقياد للخالق عز وجل تمتثله كافة المخلوقات بفيئها وظلالها وذواتها، سواء أكانت جمادا أم مخلوقات حية، وهم كل من في السموات والأرض متناغمين مع الملائكة عليهم السلام في خوفهم من الله وأنهم يفعلون ويطبقون ما يأمرهم به الله تعالى وتقدس.

يقول القرطبي – رحمه الله–: ((قوله تعالى: (ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة أي: من كل ما يدب على الأرض، (والملائكة)يعني الملائكة

الذين في الأرض، وإنما أفردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة، فيميزهم من صفة الدبيب بالذكر وإن دخلوا فيها كقوله تعالى:(فيهما فاكهة ونخل ورمان) سورة الرحمن : ٦٨، وقيل: لخروجهم من جملة ما يدب؛ لما جعل الله لهم من الأجنحة، فلم يدخلوا في الجملة، فلذلك ذكروا، وقيل: أراد (ولله يسجد ما في السماوات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب وما في الأرض من دابة وتسجد ملائكة الأرض (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم، وهذا رد على قريش حيث زعموا أن الملائكة بنات الله ،ومعنى (يخافون ربهم من فوقهم) أي: عقاب ربهم وعذابه؛ لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء، وقيل :المعنى :يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ،ففي الكلام حذف، وقيل معنى (يخافون ربهم من فوقهم) يعني الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى، دليل هذا القول قوله تعالى: (ويفعلون ما يؤمرون) يعني الملائكة [١] .

ومن هذا الموضع يتضح لنا ذكر سجود الملائكة عليهم السلام ومعهم فئام من المخلوقات ذوات الظلال يسجدون لله تعالى كما تسجد الملائكة الكرام.

والمتأمل في هذا يخرج بنقاط من التدبر والفوائد تفيده في سيره على تطبيق السجود اللائق بجلال الله جل وعز، ومنها:

١- كل المخلوقات تسجد لله تعالى وتقر بربوبيته وألوهيته.

٢- تخصيص المخلوقات ذوات الظلال بسجودها وسجود فيئها لله تعالى.

٣- سجود الجمادات على طريقتها التي فطرها الله عليها .

٤- سجود الجمادات له كيفية خاصة بها لا يعلمها إلا الخالق الأعظم.

(١) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة: ١١٢/١٠- ١١٣.

٥- إثبات غنى الله عن الرافضين للسجود بأن هناك من يقومون لله بذلك دونهم.

٦- عظم مكانة الملائكة عند الله عز وجل، وطاعتهم المطلقة له سبحانه.

٧- خوف الملائكة لله تعالى وانصياعهم لأوامره.

٨- إثبات الفوقية والعلو لله تعالى.

المبحث الثالث

سجود جميع المخلوقات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سجود المخلوقات بالجملة

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴾ الرعد: ١٥ .

في هذا الموضع يذكر الله تعالى سجود من في السموات والأرض من العقلاء لله الواحد القهار، وهم يسجدون طائعين لله تعالى طواعية، ومنهم من يسجد مكرها لا اختيار له؛ خضعانا لله تعالى.

قال إمام المفسرين الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: ((يقول تعالى ذكره فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له فلله يسجد من في السماوات من الملائكة الكرام ومن في الأرض من المؤمنين به طوعا، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود.

وقوله: (وظلالهم بالغدو والآصال) يقول ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعا وكرها بالغدوات والعشايا، وذلك أن ظل كل شخص فإنه يفيء بالعشي.))[1] .

ونستفيد من هذا الموضع زيادة على سابقه:

١- سجود كل الخلق العقلاء لله تعالى حالة كونهم طائعين لله كالملائكة ومؤمني البشر والجن.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥: ١٣١/١٣.

٢- سجود العصاة من البشر والجن مكرهين، حيث يعيشون ويمتثلون أوامر الله الكونية من شرب وأكل ونكاح ومشي ونوم دون اختيار منهم

٣- سجود كل ظلال المخلوقات غدوا وعشيا لله تعالى.

المطلب الثاني: ذكر بعض المخلوقات الساجدة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ الحج: ١٨.

يقول الفخر الرازي رحمه الله: " السؤال الثاني: ما السجود ههنا؟ قلنا: فيه وجوه، أحدها:

قال الزجاج: أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى، وهو كقوله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وللأرض ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) سورة فصلت :١١ وقوله تعالى: (إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) سورة البقرة: ٧٤، وقوله عز وجل: (وَإِن مّن شيء إِلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ) سورة الإسراء: ٤٤ " [١] .

ويزيد ابن عاشور رحمه الله توضيحا أكثر حيث يقول: " دلَائِلَ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا عَاقِلِهَا وَجَمَادِهَا شَاهِدَةٌ بِتَفَرُّدِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ. وَفِي تِلْكَ الدَّلَالَةِ شَهَادَةٌ عَلَى بُطْلَانِ دَعْوَةِ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ.

وَمَا وَقَعَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ اسْتِطْرَادٌ وَاعْتِرَاضٌ.

وَالرُّؤْيَةُ: عِلْمِيَّةٌ. وَالْخِطَابُ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ.

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى :١٨/٢٢.

وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ. أَنْكَرَ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ عَدَمَ عِلْمِهِمْ بِدَلَالَةِ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى تَفَرُّدِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيًّا، لِأَنَّ حُصُولَ عِلْمِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ مُتَقَرِّرٌ مِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ وَسُورَةِ النَّحْلِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى هَذَا السُّجُودِ فِي السُّورَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ.

وَقَدِ اسْتُعْمِلَ السُّجُودُ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، وَهُوَ حَسَنٌ وَإِنْ أَبَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَقَدْ حَقَّقْنَاهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ التَّاسِعَةِ، لِأَنَّ السُّجُودَ الْمُثْبَتَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ هُوَ السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ، وَلَوْلَا إِرَادَةُ ذَلِكَ لَمَا احْتَرَسَ بِإِثْبَاتِهِ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَا لِجَمِيعِهِمْ.

وَوَجْهُ هَذَا التَّفْكِيكِ أَنَّ سُجُودَ الْمَوْجُودَاتِ غَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا دَلَالَةَ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى أَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ بِخَلْقِ اللَّهِ، فَاسْتُعِيرَ السُّجُودُ لحالة التسخير والانطياع. وَأَمَّا دَلَالَةُ حَالِ الْإِنْسَانِ عَلَى عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا خَالَطَهَا إِعْرَاضُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَلَبُّسُهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ كَمَا هُوَ حَالُ الْمُشْرِكِينَ غَطَّى سُجُودُهُمُ الْحَقِيقِيُّ عَلَى السُّجُودِ الْمَجَازِيِّ الدَّالِّ عَلَى عُبُودِيَّتِهِمْ لِلَّهِ لِأَنَّ الْمُشَاهَدَةَ أَقْوَى مِنْ دَلَالَةِ الْحَالِ فَلَمْ يُثْبِتْ لَهُمُ السُّجُودَ الَّذِي أُثْبِتَ لِبَقِيَّةِ الْمَوْجُودَاتِ وَإِنْ كَانَ حَاصِلًا فِي حَالِهِمْ كَحَالِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى." (١)

ومن تأملات هذا الموضع وتدبراته:

١- ذكر الخاص بعد العام بتعداد بعض أفراد الساجدين بعد ذكرهم مجملا.

٢- عظم شأن هذه المخلوقات الساجدة لله تعالى طواعية وهي: الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكثير من الناس المؤمنين بالله ورسله.

٣- تحقير من لم يسجد لله تعالى من المكلفين من البشر والجان.

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور،: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م :١٦٣/١٧-١٦٤.

٤- تحقق العذاب لكثير ممن رفض السجود لله طواعية.

٥- لا مكرم لمن أهانه الله

٦- الله لا مكره له ويفعل ما يشاء سبحانه، وبيده هداية التوفيق وحده دون سواه.

المبحث الرابع

سجود الأنبياء والصالحين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سجود الأنبياء بالجملة

قال تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨ ﴾ مريم: ٥٨

قال العلامة السعدي رحمه الله: " لما ذكر سبحانه هؤلاء الأنبياء المكرمين وخواص المرسلين وذكر فضائلهم ومراتبهم قال : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي : أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق ومنة لا تسبق من النبوة والرسالة وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم وأن من أطاع الله كان (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) وأن (بعضهم) (من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) أي: من ذريته (ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل) فهذه خير بيوت العالم اصطفاهم الله واختارهم واجتباهم، وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام الغيوب والإخبار باليوم الآخر والوعد والوعيد (خروا سجدا وبكيا) أي: خضعوا لآيات الله وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة ما أوجب لهم بالبكاء والإنابة والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا، وفي إضافة الآيات إلى

اسمه(الرحمن) دلالة على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم؛ حيث هداهم بها إلى الحق وبصرهم من العمى وأنقذهم من الضلالة وعلمهم من الجهالة."[1]

وهذا الموضع جاءت فيه السجدة بعد ذكر جملة من الرسل والأنبياء في سورة مريم، وعند التدبر نخلص لما يلي:

١- شدة معرفة المنعم عليهم من النبيين والمرسلين بربهم وإذعانهم له بالسجود.

٢- الاستماع لآيات القرآن بقلب حاضر يؤدي للخشوع والسجود والبكاء من خشية الله.

٣- آيات القرآن العظيم تدعو إلى كل ما يوجب رحمة الرحمن جل وعز.

٤- نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو السجود والبكاء من خشية الله تعالى.

٥- آدم عليه السلام هو أبو البشرية الأول، ونوح هو الوالد الثاني، في حين كانت الأنبياء بكثرة في ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أجمعين، ومع مكانتهم ذلوا لله فرفع الله مكانتهم وأعلى ذكرهم.

٦- علينا الاقتداء بسادة البشر وهم الأنبياء عليهم السلام في الخضعان لله بالسجود عند المرور بمواضع السجود من القرآن المجيد.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين:٤٩٦/١.

المطلب الثاني: سجود داود ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

أ- سجود داود عليه السلام.

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾ ص: ٢٤.

عندما استعجل نبي الله داود عليه السلام في الحكم في قضية الخصمين بالنطق بالحكم دون سماع الخصم الآخر ندم على ذلك الاستعجال وذلك الحكم المتسرع فسارع بالتوبة وخر ساجدا لله وأناب وتاب فقبل الله منه توبته وغفر له خطأه.

قال صاحب التسهيل لعلوم التنزيل: " فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين" [(١)] .

ومن تدبرات هذا الموضع:

١- المؤمن الحق سريع التوبة بعد الوقوع في الخطيئة كفعل آدم وحواء وداود عليهم السلام.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة: ١٨٣/٣.

٢- اللجوء للصلاة والسجود خصوصا سبب لقبول توبة المذنب.

٣- سرعة استجابة الله لدعاء التائبين

ب- أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالسجود.

قال تعالى :﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾ العلق: ١٩.

قال ابن الأثير رحمه الله: ((قوله تعالى :(كلا) أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ، لا تطعه في ترك الصلاة واسجد ،أي: صل لله و اقترب إليه بالطاعة، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى واقترب خطاب للنبي ﷺ))[١] .

ومن هذا الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بتجنب نهي أبي جهل له بالصلاة والسجود خاصة وفعل عكس ذلك باللجوء إلى الله والاستعانة بالسجود على رد كيد الأعداء نستخلص أهم الوقفات التدبرية من هذا الموضع:

١- من أراد التقرب إلى الله فعليه بالسجود، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كما في الحديث الصحيح.

٢- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٣- قدوتنا في كثرة السجود هو نبينا ﷺ المأمور بالسجود والآمر بالسجود.

٤- في السجود سكينة وطمأنينة لا يدركها إلا الساجدون.

٥- قمة العزة في تعفير الوجه لله بالسجود، وفيه قمة التواضع لله، ومن تواضع لله رفعه.

(١) زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة: ١٧٩/٩.

٦- سجود التلاوة توقيفي، ولذلك لا نسجد إلا عند هذه المواضع الخمسة عشر، حتى لوكان معناها يشبه ما في آيات السجود من مثل قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ الحجر: ٩٨

المطلب الثالث: سجود العلماء من أهل الكتاب والمؤمنين من هذه الأمة.

أ – سجود علماء أهل الكتاب عند سماع القرآن المجيد

قال تعالى:﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩.

يقول ابن عاشور – رحمه الله–: " استئناف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليلقنه بما يقوله للمشركين الذين لم يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله، فإنه بعد أن أوضح لهم الدلائل على أن مثل ذلك القرآن لا يكون إلا منزلا من عند الله أعقب ذلك بتفويض النظر في ترجيح الإيمان بصدق القرآن وعدم الإيمان بقوله: {آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا} للتسوية بين إيمانهم وعدمه عند الله تعالى. فالأمر في قوله: {آمِنُوا بِهِ} للتسوية، أي إن شئتم، وهو كناية عن الإعراض عنهم واحتقارهم وقلة أهميتهم.

والأذقان: جمع الذقن . بفتح الذال وفتح القاف . مجتمع اللحيين، وذكر الذقن للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى.

وهذا السجود سجود تعظيم لله إذ حقق وعده بعد سنين طويلة.

والبكاء بكاء فرح وبهجة. والبكاء: يحصل من انفعال باطني ناشئ عن حزن أو عن خوف أو عن شوق.

ويزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان لهم من سماع كتابهم.

ومن السنة سجود القارئ والمستمع له بقصد هذه الآية اقتداء بأولئك الساجدين بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع القرآن إلا وهو يرى أجدر بالسجود عند تلاوة القرآن."[1]

ومن الوقفات التدبرية في هذا الموضع:

١- الإيمان بالقرآن واجب

٢- يستوي عند الله إيمان الخلق وكفرهم، فهو غني عنهم

٣- لا يرضى الله لعباده الكفر.

٤- المنصفون من أهل الكتاب يقرون بصحة القرآن؛ ولذلك آمن بعضهم به

٥- الجاهليون لا عقول مميزة عندهم بين الحق والباطل.

٦- العلم مدعاة للإيمان بالله والخوف من الله والسجود (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

٧- السجود يزيد الخشوع.

٨- البكاء من خشية الله عند سماع القرآن يورث الخشوع والسجود والإذعان لله تعالى.

(١) التحرير والتنوير- مرجع سابق-: ١٤/ ١٨٢ وما بعدها بتصرف.

ب – أمر الله المؤمنين من هذه الأمة بالسجود

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾ الحج: ٧٧.

قال أبو حيان – رحمه الله–: " لما ذكر تعالى أنه اصطفى رسلاً من البشر إلى الخلق أمرهم بإقامة ما جاءت به الرسل من التكاليف، وهو الصلاة، قيل: كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بكوع وسجود"(١) .

ومن هذا الأمر الكريم نستنبط التدبرات الآتية:

١- النداء بالإيمان؛ لأنه مظنة الإجابة.

٢- الأمر بالسجود هنا تعظيما لأمر الله به.

٣- اقتران الركوع بالسجود وفعل الخير يدل على أنهما مفتاحان لكل خير وفلاح.

٤- الركوع والسجود أفردا بالذكر تخصيصا لهما مع ذكر العبادة الشاملة لهما ولغيرهما.

٥- الركوع والسجود سبب للفلاح في الدارين.

(١) تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل: ٣٦٠/٦.

ج- سجود المؤمنين عند التذكير بآيات الله تعالى:

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ السجدة: ١٥.

يقول الإمام السمعاني رحمه الله: ((قوله تعالى: (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي: إذا دعوا إلى الصلوات الخمس أجابوا إليها، حكاه أبو معاذ النحوي، ويقال: إذا وعظوا بآيات الله اتعظوا، وقوله: (خروا سجدا) أي: وقعوا سجدا، والخرور في اللغة هو السقوط، وعن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: بايعت رسول الله أن لا أخر إلا قائما، أي: لا أموت إلا وأنا ثابت على الإسلام، وقوله: (وسبحوا بحمد ربهم) أي: وصلوا بأمر ربهم، ويقال: سبحوا الله وحمدوه، وقوله: (وهم لا يستكبرون) أي: لا يتكبرون، ويقال: من سجد لله فقد طرح التكبر عن رأسه. وفي بعض الأخبار: من سجد لله سجدة رفعه الله بها درجة)) [(١)] .

ومن الوقفات التدبرية هنا:

١- المؤمنون حقا إذا ذكروا بالقرآن سجدوا.

٢- السجود مقرون بالتسبيح لله، ولذلك يقال فيه (سبحان ربي الأعلى).

٣- التكبر ليس من صفات الساجدين.

٤- السجود سبب للتواضع.

٥- سرعة استجابة المؤمنين من هذه الأمة لأوامر الله تعالى.

٦- السجود سبب لرفعة الدرجات.

(١) تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم: ٢٤٨/٤.

الفصل الثاني

الرافضون للسجود

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: استهزاء الكفار من السجود لله واستكبارهم

المبحث الثاني: الكفار لا يسجدون عند سماع القرآن

المبحث الثالث: استنكار الهدهد السجود لغير الله.

الفصل الثاني

الرافضون للسجود

المبحث الأول

استهزاء الكفار من السجود لله واستكبار

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۩ ﴾ الفرقان: ٦٠.

قال تعالى : ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ٦٢ ﴾ النجم: ٥٩ – ٦٢ .

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا قيل لهم: (اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَانِ) أي: قال لهم ذلك رسول اللَّه ﷺ والمسلمون تجاهلوا الرحمان وقالوا: (وَمَا الرَّحْمَانُ) وأنكروا السجود له تعالى وزادهم ذلك نفورًا عن الإيمان والسجود للرحمان، وما ذكره هنا من أنهم أمروا بالسجود له وحده جلَّ وعلا مذكورًا في غير هذا الموضع كقوله تعالى: (لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[1] وقوله تعالى: (فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَاعْبُدُواْ) وقد وبّخهم تعالى على عدم امتثال ذلك في قوله تعالى:

(وَإِذَا قرئ عَلَيْهِمُ الْقُرْءانُ لاَ يَسْجُدُونَ)[2]وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُونَ)[3]، وتجاهلهم للرحمان هنا أجابهم عنه تعالى بقوله: (الرَّحْمَانُ عَلَّمَ الْقُرْءانَ

(١) سورة فصلت: الآية: ٣٧.
(٢) سورة الانشقاق: الآية: ٢١
(٣) سورة المرسلات: الآية: ٥٠.

خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ)[١] وقوله تعالى: (قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَانَ أَيّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)[٢] .

وقد قدّمنا طرفًا من هذا في الكلام على هذه الآية وقد قدّمنا أيضًا أنّهم يعلمون أن الرحمان هو اللَّه وأن تجاهلهم له تجاهل عارف وأدلّة ذلك" [٣].

وأنت أيها القارئ الكريم حين تتلو هذه المواضع يحسن بك أن تخرج بالتدبرات التالية:

١- الأمر بالسجود تخاطب به أمة الدعوة كما تخاطب به أمة الإجابة.

٢- الرسول ﷺدعا الكفار إلى السجود للرحمن جل وعز وكذا المؤمنون من الصحابة الكرام.

٣- استهزاء الكفار بالسجود للرحمن ما هو إلا ضرب من العناد والكبر.

٤- المعاند لا يكتفي للرفض، بل يقرنه بالاستنكار والسخرية.

٥- كان حريا بالكفار إذ لم يسجدوا لما أمروا أن يبكوا ويحزنوا على مصيرهم.

٦- الضحك عند سماع القرآن من صفات الكافرين قساة القلوب.

٧- الكفار تعتريهم حالة السكر والخبال عند سماع القرآن.

٨- السجود أ رفع أنواع العبادة.

٩- يهدي الله للسجود من علم منه حب الهداية والإيمان.

إلى غير ذلك من الهدايات والتدبرات من هذين الموضعين.

---

(١) سورة الرحمن : الآية: ١.
(٢) سورة الإسراء: الآية: ١١٠.
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.: ٧٠/٦.

المبحث الثاني

الكفار لا يسجدون عند سماع القرآن

قال تعالى :﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ الانشقاق: ٢١.

يقول البيضاوي- رحمه الله- في تفسيره: " (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي: لا يخضعون، أو(لا يسجدون) لتلاوته؛ لما روي أنه ﷺ قرأ (واسجد واقترب)[١] فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت، واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود، فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سجد فيها وقال :والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺيسجد فيها" [٢] .

وقال أبو الليث السمرقندي- رحمه الله-: " ثم قال عز وجل: (فما لهم لا يؤمنون) يعني: ما لكفار مكة لا يصدقون بالقرآن، (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني: لا يخضعون لله تعالى ولا يوحدونه، ويقال: ولا يستسلمون لربهم ولا يطيعون، ويقال: لا يصلون لله تعالى"[٣] .

فأنت ترى أن الله تعالى ذكر أن الكفار حين يتلى عليهم القرآن يرفضون السجود لله تعالى على عكس حال الملائكة والمؤمنين من هذه الأمة وأهل الإنصاف من علماء أهل الكتب من الأحبار والرهبان، الذين مر الكلام عنهم في الحديث عن سجدة التلاوة في خاتمة سورة الإسراء.

ولنا بعض الوقفات والتأملات في هذا الموضع:

---

(١) سورة العلق: الآية: ١٩.
(٢) تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت: ٤٧٠/٥.
(٣) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي: ٥٤٠/٣.

١- ينبغي لمن سمع القرآن أن يسجد مهما كان تاليه.

٢- تقليد الكفار في رفض السجود عند سماع القرآن سبب للضلال والهلاك.

٣- الخضوع لله والاستسلام له من صفات أهل الفطر السوية.

٤- التأسي بالساجدين من أسباب النجاة يوم الحساب.

المبحث الثالث

استنكار الهدهد السجود لغير الله

قال تعالى :﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ النمل: ٢٣ – ٢٦.

قصة سليمان عليه السلام مع هذا الهدهد قصة عظيمة حوت على وجازتها حكما جمة وفوائد عظيمة، والذي يهمنا منها هو موضع سجود التلاوة هنا وجاء عبر كلام الهدهد واستنكاره على قوم بلقيس ملكة سبأ ذات العرش العظيم، وكيف أنهم كانوا يسجدون للشمس عوض السجود لله رب العالمين الذي يخرج كل مخبوء في الأرض من كنوز ونبات ثم وحد في ختامها الله رب العرش العظيم، فهو صاحب العرش الأعظم المستحق للسجود وحده دون سواه.

يقول الشوكاني – رحمه الله تعالى: " قوله: (إني وجدت امرأة تملكهم) وهي بلقيس بنت شرحبيل وجدها الهدهد تملك أهل سبأ والجملة هذه كالبيان والتفسير للجملة التي قبلها، أي: ذلك النبأ اليقين هو كون هذه المرأة تملك هؤلاء (وأوتيت من كل شيء ولها) مبالغة، والمراد أنها أوتيت من كل شيء من الأشياء التي تحتاجها، وقيل: المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئا فحذف شيئا لأن الكلام قد دل عليه (ولها عرش عظيم)أي: سرير عظيم ووصفه بالعظم لأنه كما قيل كان من ذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه في السماء ثلاثون

ذراعا مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ،وقيل: المراد بالعرش هنا الملك، والأول أولى لقوله: (أيكم يأتيني بعرشها) قال ابن عطية :واللازم من الآية أنها امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وسرير عظيم وكانت كافرة من قوم كفارا(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) أي: يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه، قيل :كانوا مجوسا وقيل زنادقة. (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي يعملونها وهي: عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر.(فصدهم عن السبيل) أي: صدهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح وهو الإيمان بالله وتوحيده (فهم لا يهتدون) إلى ذلك ، (ألا يسجدوا لله) قرأ الجمهور بتشديد أ(لا) قال ابن الأنباري: الوقف على فهم لا يهتدون غير تام عند من شدد (ألا)لأن المعنى وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، قال النحاس: هي أن دخلت عليها لا وهي في موضع نصب، قال الأخفش: أي: زين لهم أن لا يسجدوا لله، بمعنى لئلا يسجدوا لله، وقال الكسائي: هي في موضع نصب بصدهم ،أي: فصدهم ألا يسجدوا، بمعنى لئلا يسجدوا فهو على الوجهين مفعول له"[1]

والقارئ الكريم الذي يتلوا هذا الموضع من سجود التلاوة يمكنه استنباط الوقفات التدبرية لهذا الموضع مع هذه القصة العجيبة لهذا الطائر الراعية (الهدهد) وهنا ذكر لبعضها:

١- إنصاف سليمان عليه السلام للهدهد عندما ادعى سببا مقنعا لغيابه.

٢- المخلوقات كلها على فطرة توحيد الله وإفراده بالسجود وسائر أنواع العبادة.

٣- إقرار سليمان عليه السلام لاستنكار الهدهد على قوم بلقيس سجودهم للشمس من دون الله تعالى.

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت: ١٢٥/٤.

٤- استنكار الهدهد لتولي المرأة عليهم دون الرجال.

٥- إقرار الهدهد لتفرد الله بالخلق والإيجاد وهذا اعتراف بتوحيد الربوبية

٦- الهدهد شريك لسليمان عليه السلام في تبليغ دعوة التوحيد لقوم كافرين بالله تعالى ومشركين به، والدال على الخير كفاعله.

٧- يمكن الاقتداء بالطيور والحيوانات في كل ما هو مفيد وبخاصة في عبادة الله كما فعل سليمان عليه السلام مع هذا الهدهد، وكما فعل ابن آدم الأول في الاقتداء بالغراب حين أراه كيفية دفن الموتى.

٨- الكلمة الحكمة ضالة المؤمن هو أحق بها إذا وجدها مهما كان الآتي بها.

٩- الملك العظيم سبب للوقوع في الكفر مالم يهد الله ذلك المالك (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)[١] .

١٠- انبهار الهدهد بعرش بلقيس لم يمنعه من أداء الواجب في تبليغ سليمان عليه السلام بما عليه القوم من الشرك.

١١- الناس على دين ملوكهم.

١٢- السر والعلن عند الله واحد، فهو سبحانه (يعلم السر وأخفى)[٢] .

١٣- يحسن اتباع كل الوسائل الممكنة في تبليغ الدعوة.

١٤- وسائل الاتصال المتاحة في زماننا تجعلنا نحمل مسؤولية أعظم في تبليغ دين الله لكل الناس في المعمورة.

إلى غير ذلك من الفوائد والتأملات التدبرية لهذا الموضع.

---

(١) سورة العلق: الآية: ٦-٧.
(٢) سورة طه: الآية: ٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات محمد وآله وصحبه أولي الفضل والمكرمات وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الفوز بالكرامات.

أما بعد: فقد من الله علي بإتمام هذا البحث المبارك الذي تناولت فيه موضوعا عظيما يتعلق بالسجود لرب البريات، ليس على سبيل الإطلاق، وإنما ما يتعلق منها على سجود التلاوة الخمسة عشرة الواردة في الكتاب العزيز مصنفة على التقسيم الموضوعي لتلك المواضع، وأردفت معها ما تيسر لي من تأملات ووقفات تدبرية تعين التالي على الوقوف والتأمل واستلهام العبر

ومن أهم **نتائج هذا البحث:**

١-انقسم المخاطبون في هذه المواضع إلى ثلاثة فرق:

أ- الساجدين لله طواعية من الملائكة والأنبياء وصالحي البشر.

ب- الساجدين لله كرها من البشر وسائر المخلوقات.

ج- الرافضين للسجود كإبليس عليه لعنة الله ومن سار عن نهجه من مكلفي الجن والبشر.

٢- هذه المواضع اشتملت على معاني عظيمة.

٣-السجود لله تعالى مدعاة للتواضع وترك الاستكبار

٤-خضوع وسجود جميع المخلوقات لله جل وعز.

٥-إن أقرب ما يكون العبد وهو في حالة السجود.

٦-أن كل شيء يسجد لله في هذا الكون كالشمس والقمر والنجوم والجبال وحتى كل خلية من الخلايا وكل ذرة من ذرات ها الكون.

٧-إن كل سجدة يسجدها المسلم لله تعالى يرفعه الله بها درجات.

٩-السجود رياضة لتفريغ الشحنات الزائدة؛ لتنشيط الدورة الدموية وزيادة التركيز.

١٠-في السجود تدريب على الصبر والهدوء خضعانا لله رب العالمين.

١١-الساجدون لله وخاصة الساجدون لله سجود تلاوة استحقوا المدح والثناء من العلي الكبير.

١٢-عدم السجود أخرج إبليس من الجنة.

١٣-السجود لله وخاصة بالليل من صفات عباد الرحمن الذين كان جزاؤهم الجنة: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) سورة الفرقان: الآية:٧٥.

١٤_ سجود التلاوة توقيفي.

المقترحات والتوصيات:

١- اهتمام الباحثين في التفسير الموضوعي بمثل هذه التصنيفات التي تزيد القرآن وضوحا في موضوعاته، وتزيد المعاني رسوخا لدى المتلقين.

٢- العناية بالجوانب التطبيقية التي تعود التالين على امتثال أوامر الله تعالى وتطبيقها على النفس والأسرة والمجتمع.

٣- تعميق طرق التدبر واستخلاص الفوائد والتأملات من آي الذكر الحكيم.

وبعد: فهذا جهد المقل وعمل بشري قابل للنقد والتعديل، فما كان فيه من صواب فمن الله وحد لشريك له، وما كان قصور فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله منه.

ثبت المصادر والمراجع

١- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، الإصدار الثاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٣- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور،: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م :١٧/١٦٣-١٦٤.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٥- تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل.

٦- تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٧- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود

مطرجي:

٨- تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت -.

٩- تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم

١٠- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى .

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

١٣- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٤- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي- بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

١٥- صحيح مسلم، المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي: وسنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر – بيروت – –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦- صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت: ١٢٥/٤.

١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.